واقع القيم الإنسانية ومستقبلها وفق حقائق القرآن الكريم

د. اشرف محمد زيدان

أكاديمية الدراسات الإسلامية/ جامعة ملايا

الملخص

يُعدُّ الإيمان والعدل والسلم والتعارف والعمل الصالح، من القيم التي يتفق عليها معظم الناس على اختلاف أعراقهم وأديانهم ومذاهبهم الفكرية، لكن هذه القيم كانت تنفع واقع الإنسانية بقدر ما كانت تعبر عن معانيها الصحيحة، بينما كانت هذه القيم تشكِّل عبئاً ثقيلاً على كاهلها بقدر ما كانت تفقد من محتواها بحسب عوج التفسير الذي يفسرها به البعض، فمن الناس من يفسرها بحسب المصلحة الظرفية ومنهم من يجعلها معبراً لغايات شخصية، لكننا عندما نقف أمام المنهج الرباني الذي بيَّن للناس جميعاً المعاني الحقيقية الكاملة لهذه القيم، وحثهم على تبنيها بوصفها جزءاً لا يتجزأ من شروط وآليات الحياة الكريمة الآمنة المطمئنة؛ لا غنى عنها للبشرية أجمع، نجد أن هذه القيم لها تعريفاً واحداً على اختلاف الأزمنة والأمكنة.

ومن المعلوم أن واقع القيم الإنسانية اليوم هو واقع مأساوي بكل ما للكلمة من معنى، ذلك أن التفسيرات الخاطئة لهذه القيم تشكل خطاب الأصوات العالية المسموعة، أما التفسير الصحيح لها فلا يكاد يجاوز سمع المنادين به، لذا أصبح من الضروري اليوم الحديث عن التفسير الصحيح للقيم الإنسانية بعد تحديد المشترك منها بين بني الإنسان جميعهم، وبحث واقعها الذي يكشف زيف وخطأ تفسيرات العقول والنفوس المريضة لهذه القيم، لنصل بعد ذلك إلى قراءة دقيقة صائبة لمستقبل القيم الإنسانية سواء في حال تم تصحيح التفسيرات المتعلقة بها أو في حال استمرار تسود التفسيرات الحالية لمعاني القيم الإنسانية.

وعليه فقد جاء هذا البحث ضمن محور (استشراف مستقبل القيم الإنسانية في القرآن الكريم) وتضمن ثلاثة مطالب هي: ماهيَّة القيم الإنسانية: ترتيبها وتفسيرها وفق حقائق القرآن، القيم الإنسانية وواقعها المعاصر، ومستقبل القيم الإنسانية وفق حقائق القرآن، وتسعى الدراسة كما أسلفنا إلى تقديم صورة وافية عن تفسير القرآن الكريم لمعاني القيم الإنسانية وبيان ثباتها وموافقتها لجميع الأزمنة والأمكنة على اختلافها، وضرورة فهم المجتمع الإنساني لهذا التفسير الرباني الذي لا ولن تستقيم الحياة إلا به، مع بيان مستقبل القيم السائدة اليوم، لتمكين العقل المسلم من التفكير بما يلاءم مستقبل هذه الأمة وفق الحقائق والمعطيات الواردة في هذه الدراسة.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن سار على سنته واتبع هداه، أما بعد:

يفيد موضوع البحث بوجود حركة واضحة في مسار تفسير القيم الإنسانية يختلف باختلاف الزمن، ومن الضروري دراسة واقع القيم الإنسانية واتجاه مساراتها لاستشراف مستقبلها مما يسهم في وضع رؤية واضحة لما يتعلق بمستقبل الإنسانية، وعليه فإن هذا البحث يسعى لوضع لمسات قرآنية تسهم في فهم واقع ومستقبل هذه القيم، كما تسعى هذه الدراسة لبيان موقف القرآن الكريم من التفسيرات المختلفة للقيم الإنسانية مع تفسيره لهذه القيم، ولقد أسهم ضعف وجزئية المعالجات التي تمكن الباحث من الاطلاع عليها، مع حاجة الفكر الإنساني لدراسات عديدة بغية فهم واقع القيم الإنسانية ومستقبلها، في اختيار هذا الموضوع.

تعالج الدراسة التي بين أيدينا بالإضافة إلى ما تقدم إمكانية قبول الفكر الإنساني المُعاصر بوجه عام والوضع الدولي الراهن لتفسيرات متعددة للقيمة الإنسانية الواحدة، وهي تجيب عن سؤال بات أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى مفاده... ما هو واقع ومستقبل القيم الإنسانية، وكيف لنا أن نفهم تفسير هذه القيم من مصدر موثوق ومحايد.

حاولت هذه الدراسة تقديم جملة موضوعات تدور حول تعريف القيم الإنسانية بوصفه تمهيداً لازماً، وكذلك بحث واقع هذه القيم وهو واقع يمتاز بالاضطراب والتناقض في التفسير والتطبيق، مع بحث دلائل التفاؤل بشأن مستقبل القيم الإنسانية، وقد تم اعتماد العرض التاريخي السريع مع إسقاط شواهده على الحقائق القرآنية بشأن فهم تفسير القيم وصراع الإرادات حول تطبيق تفسيرات سليمة وأخرى محرفة ومشوهة لهذه القيم. كانت القيم الإنسانية المشتركة من جانب، مع بعض الآيات القرآنية وتفسيراتها المتعلقة بوصف وتعريف القيم الإنسانية من جانب آخر، ونماذج من الشواهد التاريخية والأحداث المعاصرة هي حدود هذه الدراسة.

جاء هذا البحث ضمن محور (استشراف مستقبل القيم الإنسانية في القرآن الكريم) وتضمن ثلاثة مطالب هي: ماهيَّة القيم الإنسانية وترتيبها وتفسيرها وفق حقائق القرآن، القيم الإنسانية وواقعها المعاصر، ومستقبل القيم الإنسانية وفق حقائق القرآن، مع

جملة نقاط تفصيلية عالجت الإشكاليات المطروحة على بساط البحث في هذه الدراسة، وقد كان لقلة المصادر المتخصصة في بحث موضوعاتها من المنظور القرآني، دافع جدّي للبحث في الدراسات المشابهة والمقاربة، وما دار حول مختلف تفسيرات القيم الإنسانية من إثباتات وممانعات ومعالجات.

المطلب الأول
ماهيَّة القيم الإنسانية وترتيبها وتفسيرها وفق حقائق القرآن

أ. ماهية القيم:

أخذ الاهتمام بدراسة القيم منذ ثلاثينيات القرن الماضي طابعه العلمي والمنهجي، وقد دفع لذلك؛ الاهتمام العالمي بثلاثة جوانب رئيسة هي اختلاف تفسير معاني القيم بين مختلف طبقات وأصناف الجنس البشري، وأسباب ودوافع اختلاف إدراكها عند الإنسان، ومجال اكتساب القيم والعوامل المرتبطة بذلك بهدف معرفة أسباب تغيرها عبر مراحل العُمر المختلفة[1].

من المعلوم أن هنالك قيم إنسانية مشتركة تتفق حيالها المجتمعات البشرية على اختلاف انتماءاتها الدينية والفكرية والقومية مُنذ أن وجد الإنسان على وجه هذه الأرض، كان ولا يزال الإيمان بها وتطبيقها يمثل مستوى رقي هذا المجتمع أو ذاك، ويأتي في مقدمتها (الاعتقاد- الحرية- السلام- العدل- العلم- العمل- الحياة) وهي ليست كل القيم التي تبناها الإسلام وعرّف بها أصحابه إنما هي الأساس فالشورى والجهاد والتربية والإيثار والتضحية والوفاء والجماعة والتكافل هي من القيم التفصيلية الأخرى التي نصَّ عليها القرآن الكريم ضمن منهج بناء المجتمع الإسلامي المعبر عن حقيقة الدين والذي يعالج وجود أديان أخرى داخله معالجة عبرت عن أرقى صور الحضارة التي شهدها تاريخ البشرية، وكذلك سلسلة التوجيهات التي مثلت جملة الأوامر والنواهي للمؤمنين به، ولم يغفل القرآن وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه؛ التأكيد لا على هذه القيم فحسب بل على معانيها وثواب من يؤمن ويطبق، وحكم من يؤمن بلا تطبيق وعقاب من ينكر وجوبها وضرورتها للحياة الحرة الكريمة للإنسانية أجمع.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾[٢] «دينا قيما: ثابتاً لا تنسخه الملل والنحل»[٣]، لا لأنه دين الاستقامة والقيم الثابتة فحسب بل لأنه دين كامل القيمة، وهي الخاصّية التي جعله الله تعالى بها خاتم الأديان.

والقِيَمُ هي جمعُ قِيمَةٍ وهي من التقويم لا التقييم، يقال: «قَوَّمَ السلعة واستقامها قدَّرها، وفي حديث عبد الله بن عباس إذا استقمت بنقد فبعت بنقد فلا بأس به وإذا استقمت بنقد؛ فبعته بنسيئة فلا خير فيه فهو مكروه، قال أبو عبيد[٤] قوله إذا استقمت يعني قومت وهذا كلام أهل مكة يقولون استقمت المتاع أي: قومته... والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه، ويقال كم قامت ناقتك أي: كم بلغت، وقد قامت الأمة مائة دينار أي: بلغ قيمتها مائة دينار، وكم قامت أمتك أي: بلغت، والاستقامة التقويم لقول أهل مكة استقمت المتاع أي: قوَّمته، وفي الحديث: قالوا يا رسول الله لو قوَّمت لنا، فقال الله... هو المقوِّم أي: لو سعَّرت لنا وهو من قيمة الشيء أي: حددت لنا قيمتها، ويقال قامت بفلان دابته إذا كلت وأعيت فلم تسر... ويقال قام ميزان النهار فهو قائم أي: اعتدل... والقائم بالدين المستمسك به الثابت عليه»[٥].

ويفيدنا معنى مصدر (قوم) في اللغة العربية بوجود صلة واضحة بين القيمة والاستقامة والاعتدال، «والقيمة واحدةُ القِيَم وقوم السلعة تقويما، وأهل مكة يقولون استقام السلعة وهما بمعنى واحد والاستقامة الاعتدال يقال استقام له الأمر، وقوله تعالى: ﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾[٦] أي: في التوجه إليه دون الآلهة، وقوَّم الشيء تقويما فهو قويم أي: مستقيم وقولهم ما أقومه شاذٌ، وقوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[٧]، إنما أنثه لأنه أراد الملة الحنفية، والقوام بالفتح العدل، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾[٨]، وقوام الرجل أيضا قامته وحسن طوله و قوام الأمر بالكسر نظامه وعماده يقال فلان قوام أهل بيته وقيام أهل بيته وهو الذي يقيم شأنهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٥﴾ ﴾[٩] وقوام الأمر أيضاً ملاكه الذي يقوم به وقد يُفتَح وقامة

الإنسان قده وجمعها قامات وقِيَم مثل تارات وتِيَر، وقائم السيف وقائمته مقبضه، والقائمة واحدة قوائم الدواب، والقيوم اسم من أسماء الله تعالى وقرأ عمر ﷺ الحي القَيّام وهو لغة»[١٠].

ولقد عرَّف الباحثون القيم؛ قديماً وحديثاً بتعريفات عدة تفيد إجمالاً بأنها إحدى أهم المؤشرات على رُقي وتقدم وتحضر أي مجتمع من المجتمعات[١١].

فالقيم هي مسميات تعبر عن معاني نبيلة اصطلحت المجتمعات الإنسانية قديماً على جعلها مقياساً لمدى سُمُوِ ورُقيِّ الأفراد والجماعات، ولا شك أن وحي السماء مُنذ وجود أول الأنبياء على وجه الأرض هو مصدر هذه القيم بتفسيراتها الصحيحة.

ب. ترتيب القيم:

للقيم في الحضارة الإسلامية ترتيباً وأولوية فهي ليست معاني منثورة تُقدم وتُؤخر بلا ضوابط وأسباب، ولا يمكن كذلك إضافة وحذف ما يشاء المرء من هذه القيم بحسب حاجته وهواه، ذلك أننا نقف وكما يعرّفنا القرآن أمام وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة والتقسيم وهو ما يُعرفُ في حضارتنا بمنظومة القيم، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[١٢]، «أي: جزءوا كتبهم المنزلة عليهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض»[١٣].

لذا فإن الإفادة من منظومة القيم لا تناطُ بفهم معانيها الصحيحة المنضبطة وتطبيقها بانتقائية فحسب، بل هي كذلك تتعلقُ بأخذها وحدة متكاملة متسلسلة لبناء الفرد الراقي وجعله نواةً للمجتمع الراقي «عندما ننظر في مجموعة القيم التي تنهض عليها حضارة القرآن- فإننا نؤكد من البداية أنها ليست قيماً متناثرة... بل هي متعانقة تعانق الأمواج في المحيط الهادئ... يمتزج بعضها ببعض ويتشابك اللاحق منها بالسابق في تتابع وانسجام حتى تكون في النهاية هيكلا ضخماً لأروع حضارة عرفها الإنسان»[١٤].

ولمعرفة ترتيب القيم وأسبابه نستعرض جملة القيم المذكورة في هذا البحث بالتسلسل الذي هو غاية اجتهاد الباحث مع الحديث عن سبب موقع هذه القيم واحدة تلو الأخرى وهي كما يأتي:

١. **الاعتقاد:** وهو الأصل الذي ينبني عليه قبول الأعمال وصحتها[١٥]، أو كما يعبر عنه البعض بالإيمان والاعتقاد أدق تعبيراً حيث عليه يبتنى فهم ما سواه من معاني القيم

الإنسانية، وهو يشمل حتى المُلحد والمُنكِر لفكرة الإله والدين حيث إنه إن لم يكن يؤمن بشيء حسب زعمه فهو يعتقد بعدم وجود الإله والدين، مهما كان شكلهما وتعريفهما، والاعتقاد بوصفه مؤثراً رئيساً في سلوك الأفراد والجماعات وفكرها فإنه يؤثر تلقائياً في فهمهم لمعاني القيم الإنسانية التي يقول بها حتى الملحدون ولأن الاعتقاد هو ضابط الحرية الأول صار تقديمه على الحرية أولى.

٢. **الحرية:** وهي الحق الأول والأساس من حقوق الإنسان والتي يأتي ما سواها تبعاً لها[١٦]، وقد عرّفتنا جملة نصوص الشريعة الإسلامية على أنها حرية العبودية لله وحده وترك عبادة ما سواه، وعلمتنا أنها رفع الحرج الذي هو أساس جميع تشريعات الدين فلا قيود إلا فيما يعد مهلكة للإنسان... نوعه وروحه وإنسانيته...

٣. **العدل:** وهو قيمة سامية من القيم الإنسانية التي ضمنت للمجتمعات البشرية السلام كلما التزمت هذه المجتمعات وخصوصاً القوية منها بالتفسير الصحيح لها[١٧]، وقد ارتبط هذا التفسير بالإيمان بالله على مر العصور فلم تشهد الإنسانية تفسيراً وفهماً وتطبيقاً صحيحاً لهذه القيمة مثلما شهدته أيامَ تَسوُّدِ الحضارات الربانية وهيمنتها على العالم وهذا تاريخ دولتي نبيين من أنبياء الله هما داوود وأبنه سليمان عليها السلام، وهذه حضارة الإسلام لأكثر من عشرة قرون من عُمر الإنسانية وهي تفيِّءُ بظلالها الإنسانية عدلاً وإحساناً مما تضيق بذكره المؤلفات الطوال، ولو ربطنا الماضي بالحاضر لرأينا تكرار الصورة– تفسير العدل على أنه القوة وما نستطيع فعله عن طريقها– كما يرى المنحرفون من البشر.

٤. **السلام:** السلام هو أسم من أسماء الله الذي يعبده ويوحده المسلمون ومنه اشتُقَّت مفردة الإسلام، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[١٨]، وقال عزَّ من قائل: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[١٩] «الإسلام هو الدين القيِّم المستقيم»، والسلام هو هدف الإسلام الذي لم يشرع الحرب إلى دفاعاً عن النفس والأوطان[٢٠]، وحمايةً للدعوة وجهود تعريف الناس بدين الله.

٥. **العلم:** يعرفه المتكلمون بأنه «صفة يتجلى بها الأمر لمن قامت به، وهو مراد من قال منهم إنه صفة توجب لمحلها تمييزاً لا يحتمل النقيض، ولو كان هذا التمييز بوساطة

الحواس... والعلم في اللغة مصدر يرادف الفهم والمعرفة، ويرادف الجزم أيضاً في رأي»[٢١]. وإذا أخذنا التعريف اللغوي أساساً لفهم هذه القيمة، سنجد أن مكانة الأفراد والجماعات ترتبط بصورة أو بأخرى بمقدار ما يمتلكوه من علوم نافعة للبشرية أجمع، وللعلم ثمار لا تبدو جليّا ولا ترى النور ويعم نفعها إلا حيث يوجد العدل والسلام، ذلك أن الحروب وعدم الاستقرار تؤثر سلباً وبصور متفاوتة على العلم بجميع أنواعه وفروعه، وأقل ما تجلبه التوترات والحروب على العلم أنها تسخره لخدمة أهداف القائمين على هذه الحروب والنزاعات.

٦. **العمل:** هو أداة تطبيق الاعتقاد والتعبير عن حجم الحرية والعدل، والنافع منه هو ثمرة من ثمرات السلام وهو فوق ذلك وسيلة للإفادة من العلم والتعبير عن نوعهِ وتوجهاته ومقاصده «وهكذا نظريات العلم المتعلق بالحياة، إنها الأخرى لا يمكن أن تثمر في المجتمع وتنشئ الحضارة إلا إذا ترجمها العمل إلى وجود»[٢٢]، وبه تنعم الحياة وتصبح قيمتها أعلى ومعناها ومقصدها أكثر وضوحاً.

٧. **الحياة:** والحياة كما تقدم تأخذ قيمتها من مستوى فهم وتفسير وتطبيق القيم المذكورة أعلاه، والتي تأتي جميعها لتحسين نوعها ورفع قيمتها «والحياة هي عُمر الإنسان كما يراها البوطي»[٢٣]، وهي الوقت كما يراها مالك بن نبي[٢٤]، وعلى أية حال فهي تعبير عن الوقت الذي يستهلكه عُمر الإنسان في منهج ووضعٍ ما، يعتمد على طبيعة تفسر القيم الإنسانية، وهو ما سيرد بحثه في الفقرة القادمة.

ج. التفسير القرآني للقيم:

كما تقدم فقد كان تفسير القيم في الإسلام هو تفسير رباني جاء به كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولقد أكد القرآن الكريم فكرة نشوء تفسيرات القيم وتطورها عند الأفراد والجماعات، وكذلك تعرضها للتغير والتبدل والتراجع والتقدم والتردد بين الإيجابية والسلبية وفق متغيرات الأزمنة والأمكنة وأمزجة الحكام أحياناً، لذا كان تفسير القيم مقصداً من مقاصد القرآن، «إن القيم تمضي في ارتقاء من الطفولة المبكرة وحتى نهاية العُمر، وأنها ليست قاصرة على فترة أو مرحلة عمرية معينة دون غيرها، فمع نمو الفرد تزداد المعايير التي يحتكم إليها وضوحاً وكفاءة في تحديد قيمه، كما

يتغير مفهوم المرغوب فيه، والمفضل مع تغيير العمل واكتساب خبرات جديدة، وذلك في ضوء مستويين: الأول: ويكون فيه الإطار العام للغايات المرغوبة غير محـــدد، الثـــاني: حيث يحدث نوع من التغيير في هذا الإطار، فتصبح الغايات أكثر تحدداً وتميزاً»[٢٥]، وإذا كان الأمر هكذا على صعيد الأفراد وهم نواة أي مجتمع إنساني فمن باب أولى أن يكـــون كذلك على صعيد الجماعات.

ولكي نتبين شيئاً من تفسير الإسلام بواسطة مصدره الأساس القـــرآن الكـــريم، نستعرض لضيق المقام عدداً من القيم التي تقدم الحديث عنها لنستبين تفسير القرآن الكريم لها.

تحدث الإسلام عن العقيدة وبيّنَ أن العقيدة التي يعرِّف الله تعالى بها عباده هـــي العقيدة المعتمدة والمقبولة عنده سبحانه، وأن العقائد الأخرى هي عقائد تتراوح بين سماوية محرفة ووثنية بالكلية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾ ﴾[٢٦] «إخباراً منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو إتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كـــل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذي سدَّ جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل»[٢٧] وهنالك من ذهب إلى ما هـــو أوسع من ذلك فقال «لم أبعث رسولا إلا بالإسلام»[٢٨].

إنها قيمة عليا من القيم الإنسانية على اختلاف نظرة الإنسان لموضوعها، وهـــي في الإسلام أساس الأُسس وأصل الأصول وبغيره لا يقبل العمل الصالح، ولا تنفع حتـــى أعظم العبادات، ولأديان التوحيد المسماة بالكتب السماوية التي نص عليها القرآن الكريم، قبل أن تحرف بصيغ ووسائل وأزمنة مختلفة، نظرة واحدة لمفهوم الاعتقاد.

ولقد ظلَّ أصحاب هذه الأديان يعانون حيرة مستمرة لما يرونه بين الحين والآخر من تفاوت وتناقض في اعتقادهم وهو ما أثر على أيمانهم بعقائدهم تأثيراً بالغـــاً انعكـــس بصورٍ متعددة على فهمهم لبقية القيم الإنسانية السامية، فتعدد الحق والحق واحد، وتنـــوع تفسير الحرية حتى غدا عن بعضهم تحللاً من الفضيلة والسلوك الإنساني القويم، وشابه بل وتعدى حرية المجتمعات الحيوانية البهيمة.

وقد كان لمفهوم الحرية بوصفها قيمة أساسية من القيم الإنسانية تفسيراً واضـــحاً في القرآن، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي

﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٢٩] ذكر أهل التفسير أن «زينة الله» هي كل ما يتجمل به وكل ما ترغب به النفس من غير تجاوزٍ لحدٍ من حدود الله[٣٠] وقال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾[٣١]، «من حرج أي: من ضيق... وهذه الآية تدخل في كثير من الأحكام وهي مما خص الله بها هذه الأمة»[٣٢]، فالحرية في مفهوم القرآن هي التيسير على الناس في كل شيء إلى ما لا يكون مؤداه إلى تهلكة حتمية في النفس أو المجتمع أو البيئة، في الحال أو الاستقبال، فهي حرية منضبطة بضوابط القانون الرباني وعجباً لمن يروا في قوانين البشر ضرورة لا تتعارض مع الحرية بينما يصفون قوانين خالق السموات والأرض وما بينهما بالمقيدة للحرية! «وللحرية في المفهوم الإسلامي منطلق واسع فهي تمرح حيث توجد العقيدة»[٣٣] لا ظلم ولا فساد ولا إفساد، وفيما عدا ذلك فنحن أحرار من كل قيدٍ وحدّ، وأحرار بعبوديتنا لله الواحد القهار وحده لا شريك له، أحرار برفضنا لفساد الخُلُق ولإفساد الكون من حولنا، أحرار من عبودية أمثالنا من البشر وكذلك ما خلقه الله وسخره لخدمتنا من الحجر والشجر وسائر المخلوقات البهيمة، وأحرار كذلك من الأحقاد والعداوات وعبادة الشهوات، فما هو مفهوم الحرية عند الآخرين؟

ولقد عانت قيمة العدل شأنها شأن بقية القيم الإنسانية من تفسيرات خاطئة حتى بزغت شمس الإسلام على العالم ففسره البعض بالقوة التي تحسم الأمر لصالحها بغضِّ النظر عن بقية التفاصيل... «فلما طرد المسلمون الروم من أرض مصر، تنفس الأقباط الصعداء، ولم يكن عجباً أن يعاونوا العرب الفاتحين على الخلاص من سطوة حكم غاشم، وأن يتطلعوا إلى المسلمين كمنقذين لهم من هذا العذاب الأليم»[٣٤]، حيث الاضطهاد والتنكيل الذي كان يصبه الرومان على الأقباط في مصر بسب الاختلاف المذهبي، وهي نتيجة طبيعية لقبول الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وقومياتهم بتفسيرات خاطئة لمفهوم العدل.

«من ثلاثين سنة اصطنع الفرنسيون إحصاءً مزوراً لسكان لُبنان، قصدوا من إجرائه إقامة وطن مسيحي قومي بجوار الوطن القومي لليهود في فلسطين... ولما كانت

هذه المناطق إسلامية خالصة لا يوجد فيها من اليهود والنصارى إلا عدد قليل، فقد رأى الاستعمار تسخير جميع الوسائل، واستخدام القوة والحيلة، والجيش والسياسة، والخيانات المحلية والدولية لتهويد فلسطين وتنصير لبنان»[٣٥]، ونحن لسنا ضد مسيحية لبنان ولسنا كذلك ضد اليهودية كدين، بل ضد فهم القوة على أنها الحق أو بمعنى آخر أن الحق دوماً هو مع القوي وللقوي مهما كان تفسيرهُ.

حدد الإسلام مفهوم السِلم وجعله أصل علاقة المسلمين بغيرهم من بني الإنسان، فهو لم يجيز الحرب للحصول على الثروات وتوسيع رقعة الدولة والسيطرة على مقدرات الشعوب، وعجباً لعالمنا المعاصر وهو يستقبح تاريخ الإسلام ويتهمه بالأباطيل وينتقد مفهوم الدفاع عن النفس وحماية الدعوة التي تنير عقول وقلوب البشر؛ بوصفهما فريضة شرعية، وفي ذات الوقت يغض الطرف عن عشرات الملايين من الشعوب المشردة والمنتهكه حقوقها بحجة حماية المصالح الخارجية أو القومية للدول الكبرى مادياً، والتي تجيز للمعتدي عبور البحار لاحتلال الدول واستعباد الشعوب وتركيعها لسرقة خيراتها والتحكم بمقدراتها ونهب ثرواتها بصورة منظمة، بل وبإسناد قوانين دولية وضعها المحتل وشركائه لتغطية هذا النوع من الجرائم... وبعد ذلك يتحدثون بكل صَلَفٍ عن السلام وهم لا يقرون به واقعاً ولا يؤمنون بحقيقته، ويفسرونه على أنه قمع للشعوب وإنهاءً للصراعات الاقتصادية أو الفكرية بالقوة المسلحة، وهي كذبة كبرى تصدر عن دول أسست أنظمتها الاقتصادية والسياسية على أساس وجود حروب مستمرة وأعداء تجب محاربتهم، باستمرار.

إن إبداعات الحضارة الإسلامية ورقيها العُمراني الهائل والذي لم يخرجها عن دائرة المقاصد الإنسانية وفهمها لهيَ نتيجة من نتائج السِلم الاجتماعي وسيطرة فكره على عقلية صُنّاع هذه الحضارة، رغم استمرار الفتوحات وجهاد الطلب حمايةً الدعوة، قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾[٣٦] «أي: مالوا للسِلم أي: المسالمة والمصالحة والمهادنة فاجنح لها أي: فمل إليها واقبل منهم ذلك»[٣٧]، وأما بقية الآراء فهي تفسيرات اجتهادية اختلفت باختلاف أزمنتها وأمكنتها، وقد اجمع علماء الإسلام على أن أصل علاقة المسلمين بغيرهم هي علاقة السلِم[٣٨] إلا في حالة الاعتداء على المسلمين أو دينهم وعندها تجب نصرة المُعتدى عليه على المسلمين جميعهم، كما يجب

على المسلمين جميعاً رد بعضهم إن اعتدى أحد منهم على المسالمين من الناس على اختلاف أديانهم وأعراقهم، فهل يمكن بعد ذلك تفسير السلام بأنه فرضُ للأمر الواقع على الناس بأي طريقة من الطرق، وهضمٍ لحقوق الآخرين لبسط سلامٍ ظالمٍ هنا وهناك؟ هو في حقيقته مقدمة لصراع جديد «وبذلك يتبين أن التسامح والصفح الجميل هو السياسة الإسلامية التي رسمتها النبوة في العلاقات بين الناس بعضهم البعض، وخصوصاً بين المسلمين وغيرهم»(٣٩).

بهذه القيم التي أرست حضارة القرآن تفسيراتها الربانية، وتكامل مفهوم القاعدة الحضارية ونحن بعرضنا لجملة القيم الإنسانية بتفسيرها القرآني الذي ابتنيت عليه الحضارة الإسلامية، نبيّن مدى إشكالية التفسير الذي يحاول أن يصور القيم الإنسانية اليوم وهي موضوع المطلب الثاني من هذا البحث، بصورٍ مشوهةٍ لا تمتُ للتفسير السليم للقيم بصلة.

المطلب الثاني
القيم الإنسانية وواقعها المُعاصر

لم يكن للقيم الإنسانية تفسيراً موحداً تماماً على اختلاف الأزمنة والأمكنة كما تفيد قراءة التاريخ مُنذ عصر التدوين حتى يومنا هذا، فلقد تباين تفسير المجتمعات الإنسانية للقيم بين الإيجابي والسلبي وما بينهما من الدرجات، وبينما تمسكت أقوام إلى ما قبل مجيء الإسلام بقدر متفاوت أيضاً من الإيجابية في تفسير القيم بحسب منسوب آثار النبوة المتبقية في تلك الأمم؛ راحت أمم الوثنية تفسر القيم بتفاسير غريبة أحياناً ومبالغ في إيجابيتها أو سلبيتها في أحيان أخرى، حتى ارتفع بعضها إلى مثالية غير قابلة للتطبيق بينما تحول البعض الآخر إلى أدوات عدوانية بسبب سلبية تفسيراتها ومضامينها «أما فيما يتعلق بعلاقة التعصب بالأنساق القيمية، فالأشخاص المرتفعون في التعصب يعطون أهمية كبيرة لقيمة الحياة المريحة وقيمة النظافة، وأهمية ضئيلة لقيمة المساواة والمساعدة والجمال»(٤٠)، وأما بعد شروق شمس الإسلام على هذا العالم فقد أصبح تفسير القيم تفسيراً ربانياً غير خاضع لأهواء البشر واحتمالية التحريف والتأويل غير المنضبط.

ولتسليط الضوء على جملة تفسيرات القيم الإنسانية عبر مختلف مراحل التاريخ، سنقسم أنواع التفسير على أساس الخلفية العقدية للأمم والشعوب قديماً وحديثاً وهي كما يأتي:

أولا: تفسير أصحاب الأديان السماوية

فسَّر أصحاب الأديان السماوية القيم الإنسانية تفسيراً مرتبطاً بالوحي ومعبراً عن مقاصد أديان التوحيد، ولم يختلف تفسيرهم عن بعضهم البعض لمعاني القيم الإنسانية إلا عند وقوع التحريف بأنواعه الرئيسة الثلاثة التي بينها القرآن الكريم وهي:

١- ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[٤١].- من بعد ما عقلوه.

٢- ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾[٤٢].- عن مواضعه.

٣- ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[٤٣].- من بعد مواضعه.

هنا بالضبط أصبح أصحاب الأديان السماوية على مفترق طرق تمثل هذه المرة في تفسيرهم للقيم الإنسانية، فأختص بعضهم نفسه بخصوصية غريبة من نوعها بعد أن جعل الدين حكراً على شعب بعينه دون بقية الناس «وبنو إسرائيل وحدهم دون الناس- هم شعب الله المختار»[٤٤] فكيف يمكننا تصديق استقامة تفسير القيم الإنسانية عند من لا يرى بقية الناس أكفاءَ له وشركاءً معترفاً بهم في القيمة الأساس وهي العقيدة.

كما فقدت المسيحية قدرتها على التوازن في تفسير القيم يوم فقدت التفسير الحقيقي لقيمة التوحيد في الديانة المسيحية، فقد حرّف النصارى عقيدة اليوم الآخر بما يتلاءم مع تحريفهم لعقيدة التوحيد «فجعلوا الحساب من مهام الابن الذي اخترعوه وألقوا إليه مهمة الإله الأب»[٤٥]، فأصبحت القيم الأخرى كالعدل تعبر مثلاً عن ضرورة السيطرة على القدس ولو بالحروب الصليبية التي سفكت أنهاراً من الدماء عبر الحملات الصليبية الشهيرة[٤٦].

وكان ذلك نتيجة طبيعية لقبول مبدأ تفسير الناس- الرهبان والكهنة- للعقيدة، وبالتالي ورود احتمالية الخطأ وهو من طبيعة الإنسان، فالقديس له علاقة مباشرة بالله:

وهذا الفكر أيضاً لا يقل خطورةً عن سابقهِ «فبالنسبة للتقاليد المسيحية، فإنه يجري النظر إلى القدّيس بوجه عام على أنه الشخص الذي له علاقة مباشرة بالله، والذي تهزه نشوة كاملة باتصاله بالإلوهية وأنه لهذا لديه القدرة أن يظهر تأكيدات معينة للنشر»(٤٧).

وقد فهم المسلمون هذه الحقيقة بعد أن حذرهم القرآن الكريم من أخطاء أصحاب الأديان السابقة فتمسكوا بتفسير القرآن وشروح النبي محمد ﷺ لمعنى العقيدة، فالعقيدة قاعدة الإيمان الصادق، وهي بذلك متعلقةٌ بالإيمان صواباً وخطأً وبصورة متوازية، وقد بينت جملة نصوص القرآن المتعلقة بفهم عقيدة التوحيد وبقية فروع العقيد ضرورة عقيدة التوحيد والحفاظ على سلامة معناها ومضمونها فضلاً عن شكلها لتحقيق فهم متوازن لبقية القيم الإنسانية، قال تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾(٤٨) «أي: آلهة شتى لا تضر ولا تنفع خير؟ أم الله الواحد القهار الذي قهر كل شيء نظيره، آلله خير أما يشركون، وقيل: أشار بالتفرق إلى أنه لو تعدد الإله لتفرقوا في الإرادة ولعلا بعضهم على بعض وبيَّن أنها إذا تفرقت لم تكن آلهة؛ قوله تعالى: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾ بيَّن عجز الأصنام وضعفها فقال أي: من دون الله إلا ذوات أسماء لا معاني لها سميتموها من تلقاء أنفسكم وقيل عنى بالأسماء المسميات أي: ما تعبدون إلا أصناماً ليس لها من الإلهية شيء إلا الاسم لأنها جمادات»(٤٩)، وهو تعبير صريح عن تفسير خاطئ لقيمة الاعتقاد السليم.

ورغم جميع التجميلات التي أراد أصحاب العقائد الأخرى إضفاءها على عقائدهم إلاّ أننا قدّمنا من الأدلة على عجز العقائد الأخرى عن أن تأتي لحضاراتها بمنهج يجمع بين القول ودافعه الاعتقادي وبين العمل، «إن الأفراد إذا كانوا متفرقون وكانوا يؤمنون بعقائد مختلفة وأفكار متضاربة متخالفة فإنه من المحال أن توجد بهم ويتركب منهم هيئة اجتماعية»(٥٠)، وبالتالي تجد تضارب التفسيرات مادامت مسألة العقيدة قابلة للنقاش بين بني البشر يفسرها كلُ حسب أهوائه وقناعاته، وقد دلل على ذلك تعارض وتناقض وتبدل تفسيرات العقيدة للأديان السماوية بحسب ما تعرضت له من تحريف عبر الزمن.

ثانياً: تفسير أصحاب الأديان الوثنية للقيم الإنسانية

نظرت الأديان الوثنية لموضوعة العقيدة على إنها مجموعة تعاليم تنفع الإنسان في حياته هذه وأن ما جرى عند بعض هذه الأديان من حديث عن عقاب أخروي لم يكن سوى حاجة نفسية أدركها من قاموا بتأسيس هذه الديانات، لحض أصحابها على تنفيذ تعاليمها... وأما البوذية[٥١] «فليس عندهم عالم آخر على النحو المعهود في الديانة المصرية القديمة أو الزرادشتية»[٥٢]، وأما أصحاب الديانة الكونفوشيوسية وهي ديانة الصينيين القدماء فإنهم لم يكونوا يؤمنون بجنة ولا نار ولا آخرة، وكانوا يقدّسون الأرواح كونهم يؤمنون بأن الأرواح تنفصل عن الأجساد عند الموت ولكنها تبقى ملازمة للعائلة[٥٣]، لقد ركزت تلك الأديان باستمرار على جملة قيم دارت حول الزُهد والانعزال عن العالم والهروب من الواقع الذي تصفه بالشرير، حيث نقرأ في الديانة الهندوسية أن الإنسان إذا شابَ وبدت عليه علامات الشيخوخة فإن عليه أن يترك بيته وأهله ويصطحب زوجته إذا أرادت إلى الغابات وينام على الأرض ويترك أسباب الراحة[٥٤].

ولقد نظرت البوذية مثلاً لقيمة السلام على أنها انعزال تام عن العالم وابتعاد عما أمكن من تفاصيل حركة الحياة الطبيعية للمجتمع الإنساني «إن خط النسب البوذي هو خط السلامة الدائمة، وهو بمثابة مدخل صحيح للحياة، وأن يصبح الإنسان راهباً فهذا معناه أن يعيش عيشة سلمية- سليمة ومقدسة- لأنها انغماس كلي مع الأشياء كما هي... إنك تتعامل مع الأشياء كما تسمح لك حياة الدير، وكما هي- ليس إلا»[٥٥]، هذه نظرة لنموذج عن الأديان الوثنية لواحدة من القِيَم الإنسانية الرئيسة، وكيف لا تكون كذلك وقد بنيت على تفسير هو الآخر مغلوط لمعنى قيمة العقيدة والتوحيد؟

ثالثاً: تفسير اللادينيين

فسَّر من أنكر حقيقة الخالق من اللادينيين؛ القيم الإنسانية تبعاً لتخمينات وتوقعات وقياسات أثبتت بطلانها بمجيء الإسلام، لكن لجاجة قوى الشر لم تشأ الاعتراف بالحق فضلاً عن الركون إليه، فاستمرت تجادل بعرضها لفلسفاتٍ قصد في محصلتها صرف الناس عن التفسير المستقيم للقيم الإنسانية النبيلة و«لم يكن (دارون) وحده مبتكر الإلحاد...

ولكن الإلحاد سلسلة طويلة ممتدة... لقد سبقه كثير- وجاء معه كثير... وجاء بعده كثير»[٥٦].

بعد أن تحدث (فرويد) طويلاً عن فلسفته بخصوص الخلود والموت والعالم والحياة الآخرة وعرض آراءه وناقش آراء أصدقائه، عاد ليقول: «إنني لا أستطيع إثراء المناقشة بأي عنصر من شأنه أن يؤثر حاسم التأثير على حل المُعضِلة»[٥٧]، ثم يضيف مؤكداً حيرته وحيرة أتباعه: «إن مسألة الهدف من الحياة الإنسانية قد طُرحت على بساط البحث مراراً لا تحصى؛ بيد أنها لم تجد إلى الآن الجواب الشافي، ولعلها لا تنطوي على جواب البتة»[٥٨]، ولو أن (سيغموند فرويد) كلّف نفسه قليلاً وسأل أحد صبية المسلمين لشرح له هدف الحياة الإنسانية، ومصير أمثاله ممن أضلوا الناس بغير علم، سوى بعض الفلسفات والتخيلات والأهواء الضّالة المُضِلة، ولبين له تفسير هذه القيمة والمرتبط بتفسير بقية القيم الإنسانية.

ولو أنه رجع إلى كتاب الله لعلم حقاً أن دعوته هذه لم تكن سوى أصداء مستقبحة لدعاوى مماثلة مُنذ بدء الخليقة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[٥٩]، ما ندري ما الساعة: «هل هي حق أم باطل إن نظن إلا ظنا»[٦٠]، وعندما يتزعزع يقين الإنسان بالإله الواحد وبالدار الآخرة؛ فمن المتوقع أن يفسر أية قيمة من القيم الإنسانية تفسيراً مُعوجّاً ولأسباب تفوق الحصر يبين بعضها مجمل ما ورد في هذه الدراسة من تحصيل منافع دنيوية ومكاسب مرحلية.

رابعاً: واقع القيم الإنسانية وإشكالية التفسير

يعد التحليل والاستطلاع والمقارنة والبحث والتحري من وسائل قياس واقع القيم الإنسانية، هذا من حيث العموم وأما عندنا كأمة معززة بكتاب الله الذي جعله الله تعالى تبياناً لكل شيء، فلسنا بحاجة إلى ما تقدم لمعرفة التفسير الصحيح للقيم الإنسانية التي تجمعنا بجميع المنصفين والعُقلاء من بني البشر، وبناءً على ذلك يمثل واقع قيم الخير اليوم حالة من الصراع المحتدم بينها وبين قوى الشر التي سعت وتسعى لتبديل وتحريف تفسير القيم الإنسانية السامية، رغم وجود المشترك وعناية الكثير من المفكرين والعقلاء

والمنصفين من مختلف الحضارات والشعوب والأديان، بالبحث في هذا المشترك وتشخيصه والتعريف به.

ودليل ما تقدم هذا الصراع المستعر بين أمم معتدية وأخرى معتدى عليها يرى كلٌ منها الحق من زاوية مختلفة عن الآخر، ويتمثل ذلك أيضاً بوجوهٍ مختلفةٍ من الصراع ليس العسكري فحسب وهو قائمٌ فعلاً؛ بل صراعات اقتصادية وسياسية وأمنية وثقافية وفكرية معلنة ومغير معلنة، وهو في الحقيقة صراع قيم أو بمعنى أدق صراع تفسيرات متعددة للقيم الإنسانية المشتركة.

هنا نجد أنفسنا مضطرين للعودة إلى قضية خطأ تفسير القيم وتحديداً تفسير القيمة الأساس– قيمة الاعتقاد– فعند إلقائنا نظرة سريعة على مجريات التاريخ وأبرز أحداثه نجد أن صراع الأمم والشعوب والحضارات كان يستند غالباً إلى دوافع دينية خَفيةً وظاهرة[٦١]، وهي حقيقة لم نعد نجد من ينكرها أو ينكر آثارها المدمرة على واقع البشرية اليوم، ومع ذلك لا زلنا نرى من يحث على المزيد من الصراعات المبنية على أسس دينية أو أيديولوجية، وإن قراءة سريعة لنظرية (هنتنغتون صموئيل)[٦٢] تفيد بأننا أمام فكر لا يزال يعتمد تفسير القيم الإنسانية تفسيراً مغلوطاً للوصول إلى أهداف أصحابه المتمثلة في السيطرة على الشعوب المستضعفة ونهب ثرواتها ومحو هويتها، خصوصاً إذا ما علمنا أن النظرية المذكورة تمثل مصدر إستراتيجيات وسياسيات القطب الأوحد في العالم زمن إعداد هذه الدراسة والذي بات يعترض عليه حتى شركائه في عدد من جرائمه على استخدام القوة المفرطة ضد أمةٍ تُستَهدفُ أيديولوجيتها الدينية قديماً وحديثاً.

وعليه فإن واقع القيم الإنسانية اليوم وكما تقدم هو واقع صراع بين تفسيرات منضبطة ومعتدلة ومنطقية، وأخرى محرفة ومُسَيَّسْةَ ومشوهة ومضطربة ومتناقضة تخدم مصلحة المنادين بها على اختلاف ألوانهم، وهي للإنصاف حالة لا تختص بها أمة أو دين بعينه وإن تميزت واتسمت بها بأخذنا البُعد التاريخي الحضاري بالحسبان؛ بعض أمم الأرض عبر التاريخ، حيث استمرت تفرض تفسيرات خاطئة للقيم الإنسانية على المجتمعات البشرية الأضعف ماديّا.

المطلب الثالث
مستقبل القيم الإنسانية وفق حقائق القرآن

أولاً: صراع الإرادات

يمثل صراع إرادتي الخير والشر مُنذ بدء الخليقة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سُنة من سُنَن الكون طبقاً للمشيئة الإلهية التي سنَّتها لاختبار البشر وتمييز الخبيث من الطيب، وإذا كانت مراحل هذا الصراع تتراوح بين الاشتداد والارتخاء، فإننا نعيش اليوم واحدة من أشد موجات الصرع بين هاتين الإرادتين... «وقانون الحياة الخالد أن يتصارع الحق مع الباطل- وأن يصطدم الإيمان بالكفر- وأن يتعارك الخير مع الشر في جولات متتابعة... وأحقاب متوالية... لا يلبث الباطل أن يخر صريعاً مجندلاً»[٦٣]، تصديقاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[٦٤]، وتخضع تفسيرات القيم الإنسانية لموازين القوى الغالبة على حساب المغلوبة مهما كانت هذه التفسيرات، وهو ما يؤجج الصراع القائم بين إرادتي الخير والشر كلما تمكن الأخير من السيطرة على زمام الأمور، في عالمنا هذا، ولهذا الصراع اليوم معالم كثيرة يأتي في مقدمتها:

أ- دعوات المذاهب الفكرية المعاصرة

لقد تعاظمت دعوات المذاهب الفكرية المعاصرة لترسيخ تفسيرات جديدة لمعاني القيم الإنسانية، فطالبوا على سبيل المثال أمة الإسلام بالانقياد والتقليد الكامل للغرب صراحة هكذا وبدون قيد أو شرط، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الذين يطالبون بتقليد الغرب في كل شيء لم يراعوا المنهجية في مطلبهم هذا لاسيما فيما يتعلق بدراسة أُصول الدين ومصدره وقفزوا مباشرة نحو الفعل متناسين أسبابه ومسبباته، بغض النظر عن خطأ أو صواب هذا الفعل بالنسبة للدين الإسلامي وللحضارة الإسلامية[٦٥]، ضاربين بعرض الحائط كل معاني الحرية والاستقلال والشخصانية الحضارية، وهذا أحد أركانهم يصرح بهذه الدعوة قائلاً «أن السبيل واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا إلتواء، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حُلوها ومُرها، ما يُحَبُ منها وما يُكرَه، ما يُحمَد منها وما يُعاب»[٦٦]، إن هذه الدعاوى ومثيلاتها مما يثير صراعاً حقيقياً بين

أصحابها وبين من يؤمنون حقاً بالقيم الربانية التي وصفت هذه الأمة كما جاء في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[٦٧]، فكيف لخير أمة أن تنقاد لأمم تدلل حياتها وأنظمتها ونمط تفكيرها وسلوكيات أفرادها وقياداتها على أنها من أسوأ ما شهد تاريخ الإنسانية من أمم تدعو بغالبيتها للرذيلة وتقنن لها ما يحميها ويفعّلها ونميها ويوسعها من قوانين، وتقنن كذلك لتدمير الفضيلة ودعوة الخير وتحارب مصادرها وتشرِّع لانتهاك سيادة الدول ونهب ثرواتها وتخدع شعوب العالم بدعاوى كاذبة لتبرر ظلمها ولو وقتياً وتكيل في تعاملها مع أمم الأرض وشعوبها بمكاييل مختلفة تنصر الظالم وتخذل المظلوم وتحرف معاني القيم بصورة مستمرة وبما يتلاءم مع مصالحها المادية، ويسكت بعضها الآخر عن جملة هذه النقائص والجرائم، إلا قليلاً من العقلاء والمنصفين الذين لا تكاد تُسمَعُ أصواتهم[٦٨].

ب- اشتداد حملات تحريف القيم

ومن دلائل تصاعد هذا الصراع هو اشتداد حملات التحريف والتزييف للقيم الإنسانية، فإحلال الحرب محل السلام لحين القضاء على الإسلام كقوة تهدد الوجود الغربي- الأمريكي بحسب نظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتنغتون[٦٩]، هو الحل الأمثل للتصدي للخطر القادم من الشرق- البلاد المسلمة- وهو تحريف واضح لقيمة السلام يراد من ورائه تسويغ فكرة العدوان على العالم الإسلامي، بدلاً من الحوار معه وتقديم شيء من حسن النوايا برفع بعض الظلم الواقع عليه من قبل الغرب مُنذ زمن الحروب الصليبية وحتى يومنا هذا وهو يحرف مرة أخرى قيمة العِلم والموضوعية في نقل الحقائق التاريخية، حيث يشوه واحدة من أشد حلقات تاريخ الإنسانية أهمية ووضوحاً بقوله «أربعة عشر قرناً... أثبتت أن العلاقة بين الإسلام والمسيحية كانت غالباً عاصفة، كل واحد كان قيضاً للآخر»[٧٠]، ويتناسى (صموئيل) أن حجج الغرب للعدوان على العالم الإسلامي لم تنقطع يوماً ابتداءً من بيت المقدس وما برر للسيطرة عليه من حروب صليبية، ومروراً بتدمير دولتين إسلاميتين لاتهام الأولى بأحداث الحادي عشر من أيلول سبتمبر، واتهام الثانية بامتلاك أسلحة نووية ولا تزال المواجهة مفتوحة.

لقد حرَّف هذا الصراع جميع تفسيرات القيم الإنسانية حيث حلت القوة محل العدل وبرر مفهوم الحرية الذي يراد به التحلل من جميع القيم الأخلاقية وفق المفهوم الغربي استباحة دول بأكملها، وأصبحت الحروب المستمرة هي أداة لنيل سلام أشبه بالسراب الخادع.

يشهد واقع الإنسانية اليوم بأن العدوان المُعاصر لقوى الشر صار أشد قبحاً من جميع نماذجه السابقة حيث بدت الصورة أكثر وضوحاً من ذي قبل حتى للبسطاء والسذَّج من الناس، ذلك أن لتحريف القيم الإنسانية حدود يمثل تجاوزها نهاية صولة الباطل وأذان ببداية انكسار قوى الشر لا محالة.

ت- جيوش الفساد والإفساد

تجند قوى الشر في عالمنا المُعاصر جيوشاً من الفاسدين المفسدين لتشويه الحقائق وتحريف القيم وتنمية أسباب ومصادر الشر في ضعفاء النفوس، وتكفينا للتأكد من سلامة هذا العرض نضرة عابرة على شبكة المعلومات الدولية- الإنترنت- لنرى جيوشاً من المفسدين من كل لون وبكل لغات العالم الحية تقريباً منهم من يدفع له بصورة مباشرة ومنهم من يخوض مع الخائضين، إفساداً شمل جميع مناحي الحياة من الاجتماع إلى الفكر إلى التاريخ وإلى لأخلاق مروراً بالاقتصاد والتطرف والتوجيه الفكري المبرمج للبشرية الحائرة المضطربة، إنها لا شك جهود منظمة في الغالب الأعم، وهي تهدف لترسيخ تفسيرات مختلفة كلياً للقيم الإنسانية تسوِّغ استعباد الغالب للمغلوب، وتبرر الانحلال الخُلُقي، بالأمراض النفسية والاجتماعية وبوصف المنحلين ضحايا لهذه الأمراض يجب التعاطف معهم متناسين سبب ومصادر هذه الأمراض، وتبرر الاحتكار والربا بضرورات حتمية لحماية الاقتصاد العالمي... وهكذا.

يضاف إلى ذلك القنوات الفضائية التي ملأت أوقات الناس بالسمين والغث وهو الأكثر والأوسع انتشاراً، مع ضعف مناهج التعليم وما تعانيه من نقص في مجال التنشئة الأخلاقية والاجتماعية الرصينة وفوق ذلك ما يتم تغييره من مناهج التعليم الديني ليتلاءم مع مناهج المفسدين في الأرض، وكذلك التجسس على خصوصيات البشر عبر مختلف وسائل التكنولوجيا الحديثة بصور مخفية وأخرى مقننة وشبه مقننة، وهي برامج يقف خلفها ملايين من الفاسدين المفسدين، تهدف لخلق عالم آخر بقيم محرفة أو قل بلا قيم

أصلاً، على أن تعاظم وتسارع خطى هذه الجيوش أمام دعاة الفضيلة والقيم النبيلة، هو معلم آخر من معلم اشتداد صراع الإرادات، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾[٧١] «ميلا عظيما... أي: بالنسبة إلى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال»[٧٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾[٧٣]، «الدليل على أنه– الطاغوت– الشيطان قوله عزَّ وجلَّ ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ أي: مكره ومكر من اتبعه»[٧٤]، «أي: المؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان»[٧٥]، وشتان بين المقصدين والغايتين والمنهجين والعاقبتين.

إن جيوش الظلام لن تقاوم أنوار الحق متى ما وجد الحق من يعرِّف به الإنسانية من جديد ويحميه من مخططات الظلاميين دعاة تحريف القيم والمبادئ.

تؤكد لنا جملة هذه الحقائق قطعاً لا على وجود صراعٍ حقيقي بين الإرادات الخيِّرة والشريرة فحسب بل تدلل كذلك على احتدام هذا الصراع، وتصاعد وتيرتهِ بِشكلٍ واضح لكل ذي لُب، وهي مقدمة ضرورية لغروب الباطل وبزوغ فجر الحق الذي سيعيد للقيم الإنسانية تفسيرها السليم.

ثانياً: حتمية انتصار القيم النبيلة

تؤشر لنا طبيعة السنن الربانية لهذا الكون على حتمية انتصار القيم الإنسانية النبيلة بتفسيراتها السليمة والمنطقية على تفسيرات المُحرفين والمُنحرفين، فلقد بدأت شعوب العالم بعد سلسلة أحداث جسام بدأت بالاستعمار القديم ثم الحرب العالمية الأولى وسيطرة الدول الاستعمارية على عدد من دول العالم الذي يطلقون عليه العالم الثالث ثم مساعدة الغرب المحتل للبلاد العربية؛ لليهود في احتلال فلسطين ثم الحرب العالمية الثانية ثم ضرب الولايات المتحدة لمدينتي (هيروشيما) و(ناكازاكي) اليابانيتين بالسلاح النووي وما تلاها من تقسيمات جديدة للبلاد المقهورة ثم الاحتلال الأمريكي لفيتنام ثم أحداث الحادي عشر من أيلول سبتمبر بضرب برجي التجارة العالمية ثم الاحتلال الأمريكي

لأفغانستان والعراق، بدأت الشعوب المقهورة ومن وراءها العالم الحر أجمع بالبحث عن المخرج الحقيقي لهذه الدوامة الدموية التي استهلكت وتستهلك الملايين من الجنس البشري سنوياً بلا جريرة سوى أنهم ينتمون لدين معين أو مذهب معين أو قومية معينة أو أنهم يعيشون في بلاد غنية بالمعادن الثمينة ومصادر الطاقة وغنية قبل ذلك بالعقول المبدعة وتزخر بأصحاب المبادئ ودعاة الحرية الحقيقية والسلام العادل والمشرف لجميع سكان الأرض، والمؤلم حقاً ما يحيط بأبناء هذه البلاد الغنية من فقر وتخلف بفعل سياسات الدول الكبرى المسيطرة على مواردها بشكل أو بآخر واستغلال طاقات الشعوب ونتاجها الإبداعي لصالح الدول الصناعية الكبرى التي أوغلت في المزيد من الترف والرفاهة على حساب الشعوب المستغلّة مُنذُ قرونٍ عدَّة، مما انعكس سلباً على الاقتصاد العالمي الذي يعاني أزمات خطيرة تهدد مصير الإنسانية أجمع.

تململ العالم وغليان المشاعر

لقد بدأ بالفعل نشاط عالمي ملحوظ في التساؤل عن المخرج المتمثل بنظام شامل عادل مُنزه عن الخطأ وعن إمكانية التفسير المُعوجِّ لمعانيه الحَسَنة في ظاهرها والبراقة في شكلها، لذا فإن العالم اليوم هو في أشد حالات نشاطه في البحث عن نظام قيمي ينقذه من هذه السلسلة المتتابعة من حملات الإبادة الجماعية والقمع المركب قمع الدول الكبرى للصغرى وقمع حكومات هذه الأخيرة لشعوبها، وقمع الشركات الكبرى للفقراء والمستضعفين وقمع المؤسسات الإعلامية ببرامجها المدمرة للبسطاء، وينقذه كذلك من سياسات الإفقار والتجهيل المنهجية التي تشرف عليها حكومات ومؤسسات عملاقة في مختلف المجالات، ضمن خطط مدروسة ومنسقة تفصح معالمها الظاهرة عن زوال أمم وشعوب بأكملها إن لم تجد هذه الأمم والشعوب نظاما يقودها نحو برِّ الأمان، وهو زوال لن تكون الدول الكبرى بمنأى عن مؤثراته وتداعياته، وهذا ما يرجح الرؤية المعروضة في هذه الدراسة لمستقبل القيم الإنسانية، حيث نجد من ينادي اليوم وبأعلى صوته من داخل المجتمعات الغربية بضرورة تغيير نمط تفكير مؤسسات صنع القرار في الغرب، والعدول عن خطط واستراتيجيات ستردي المدنية الغربية قبل غيرها[٧٦].

البحث عن النظام المخلِّص

كما تقدم فإن عالمنا اليوم يتطلع إلى نظام شامل للحياة موثوق المصدر ومأمون النتائج، يخلِّصهُ مما يحيط به من ضياع وظلم وتردي شمل جميع أوجُه الحياة، وجميع شعوب العالم وفئات المجتمع الإنساني، ومَنْ غَيرُ الإسلام الذي «لم يكتفي بأن ربط المسلم بأفضل الغايات وأرفع المقاصد ولكنه أيضاً هداه إلى اتخاذ أمثل الوسائل، وأحسن الأساليب، في الوصول إلى تحقيق مقاصده وأهدافه»[٧٧]؟ لقد تحقق في الدين الذي أراده الله خاتم الأديان وأكمل المناهج الموصلة إلى أعظم الغايات، وهي تحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة، أمران عظيمان هما روعة وكمال المنهج مع وضوحه للسالكين لصراطه المستقيم قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[٧٨] «هذه طريقي وسنتي ومنهاجي... أي: الذي أنا عليه وأدعو إليه يؤدي إلى الجنة، على بصيرة أي: على يقين وحق»[٧٩].

ولا شك أن جملة ما تقدم عرضه مما يعانيه عالمنا اليوم على يَـد المؤسسـات الظلامية، وما نتج عن مخططاتها وسياساتها الإجرامية بحق شعوب العالم أجمع، قد أفرز حالة من التذمر الجماعي لدى معظم سكان الأرض، ومع وجود من يدافع عن الضـعفاء والمساكين ويرشد التائهين في عالم الظلم والظلام، إلى بر الأمان والسلام والاستقرار، لن ينعم الباطل طويلاً بهذه التمكين الزائل الذي يتمتع به اليوم على حسـاب أنّـات ملايـين السُجناء ومليارات الجياع والمستضعفين، ودموع عشرات الملايين من الأيتام والأرامـل والثكالى، ولن يكون تقهقر اقتصاد الغرب الذي أُسس علـى مبـادئ مغلوطـة كالنـدرة والاحتكار والربا التي كانت نتاجاً طبيعياً لتفسيرات منحرفة للقـيم الإنسـانية؛ وإعـلان الهزيمة أمام الاقتصاد الإسلامي، سوى بداية انهيار عـالمٍ بُنـي علـى الظلـم والقهـر والاستعباد، بعد أن فسَّر القيم بما يناسب قناعاته وأهوائه الجانحة، «إن أنظمـة الإسـلام بوجه عام قائمة على أساس من هداية الله– تعالى– وعلى الإقرار بحاجة الإنسان وحاجة العقل البشري إلى هذه الهداية، فهي مؤسسة على الوحي الإلهي كتاباً وسنةً، منهما تستمد أحكامها، وعليهما تشيد بنيانها– وذلك– يشكِّل أعظم ضمانة لكمالها وخلوها من النقـائص والأخطاء من جهة، ويضمن لها قوة الإلزام وحسن الالتزام من جهة أخرى»[٨٠]، ولا أدل على حقيقة توجه العالم نحو نظام يشتمل على جملة هذه الخصائص من جموع الـداخلين

في الإسلام وهي أرقام وإحصائيات تثير رعب أعدائه بشدة؛ في زمن أصبح فيه الإسلام الحقيقي تهمة توجب أقسى العقوبات، وفق قوانين الغرب وأذنابهم من أنظمة وحكومات(٨١).

يفيدنا ما تقدم بأن مستقبل القيم الإنسانية أو بمعنى أدق التفسير السليم لهذه القيم هو مستقبل واعد بمشيئة الله تعالى، وأن الغلبة لقيم الخير وتفسيرها القويم مهما تعاظم الشر ومهما طغى جنده وإن نظرة فاحصة للمسوحات والإحصائيات العلمية الموثوقة حول انتشار الإسلام بسبب معاني قيمه الإنسانية وما يحمل للبشرية من أمل في الخلاص من وضعها المأسوي الذي تعيشه اليوم، لتفيد وبكل وضوح بأن مستقبل القيم الإنسانية هو التمكين القريب بعد إفلاس قيم الشر المتلبسة بلبوسٍ طالما أغرى البسطاء من البشر، وهو إفلاس سبق إفلاس ١٤٩ من مصارف أمريكا وحدها(٨٢) حتى زمن إعداد هذه الدراسة، حيث أثرت قيم الولايات المتحدة وهي لا تختلف كثيراً عن قيم الغرب في رؤيتهم للحياة وفروعها ومنها الاقتصاد.

الخاتمة

عالجت هذه الدراسة واحدة من أكثر موضوعات الفكر الإنساني حساسية وأشدها حاجة للبحث الموضوعي الدقيق سعياً للوصول إلى مخرجات واضحة لإشكالية واقع ومستقبل القيم الإنسانية، وتفنيد التفسيرات الخاطئة بكشف ما وراءها من مقاصد وغايات، مع بيان أثر التفسيرات السليمة في منهج وفكر وسلوك المجتمعات البشرية، وصولاً لإثبات ضرورة انتصارها الوشيك بعد كل ما أصاب التفسيرات الخاطئة من تراجع وفشل بافتضاح نوايا الأفراد والمؤسسات التي تقف خلفها.

وبين أن السُنن الربانية وشواهد التاريخ ومعطيات المنطق تفرض تلاشي التفسيرات الخاطئة للقيم الإنسانية حيث يقتضي زوال الباطل ظهور الحق كما يقتضي زوال الليل شروق الشمس، ولقد باتت الكثير من الدراسات العلمية الموضوعية تفيد بانهيار التفسيرات المشوهة والمحرفة للقيم الإنسانية أمام السليم والصحيح والمنطقي منها، فبعد إفلاس الاشتراكية ونشوة المنتصر التي أصابت الرأس مالية، أخذت هذه الأخيرة تترنح وتفكر في إشهار إفلاسها، هذا على صعيد الاقتصاد، أما على صعيد السياسة

والاجتماع فقد ولدت التفسيرات الخاطئة للقيم الإنسانية ميتة أصلاً ولم تكن لتنال هذه الحظوة بين البسطاء لولا عصى الحكومات ولقمة الخبز التي يحبس الجياع أنفاسهم قبل التهامها من يد أصحاب تلك التفسيرات.

لقد مثلت دعوة القرآن الكريم لترسيخ المفاهيم والتفسيرات الربانية للقيم الإنسانية، حلقة وصل بين الممكن والمطلوب لتنعم البشرية بحياة حرة كريمة مزدهرة، ولكي تعيد الأمة المسلمة إلى أذهان الناس جميعاً تلك المفاهيم والتفسيرات بصفائها ونقائها، فإن عليها أن تختط لنفسها رؤية معاصرة لفهم مرتبط بالوحي بصورة مباشرة ملقية من على كاهلها تلك التفسيرات المعقدة والملتوية وغير المفهومة بالنسبة لزمننا هذا، ومعلنة عن مرحلة جديدة من الفهم الموضوعي المتوازن المبني على قواعد الوحي والمنسجم مع متطلبات الواقع.

ولعل أبرزها هو:

أ. ان القيم الإسلامية تتميز بالشمولية والربانية التي تفتقر إليها منظومة القيم غير الإسلامية.

ب. أشار القرآن الكريم بآيات صريحة على كل ما يهم الإنسان لإقامة مجتمع مثالي.

ج. القيم الإسلامية تتسم بالمرونة وتوافق الفطرة الإنسانية عموما.

التوصيات

لكي نتمكن من نشر تعريف القرآن الكريم للقيم الإنسانية فإنه لابد من دراسة سبل إيجاد تعريف موحد لهذه القيم ليتمكن قادة العالم ومثقفوه من الوقوف على أرضية صلبة وهم يدفعون باتجاه سلام عالمي شامل وعادل يعم نفعه الإنسانية أجمع.

ولكي يتحقق ذلك فإنه ينبغي على المراكز البحثية والجامعات والمؤسسات المعنية بهذا الشأن أن تركز على البحث في هذه السبل مع تعريف العالم عبر جميع منافذ الإعلام المتاحة بنتائج هذه البحوث وما توصلت إليه من خرائط مؤدية لهذه الغاية.

كما نرجو من هيئة إدارة المؤتمر أن تضاعف من جهودها في الحث على البحث في مجال القيم الإنسانية بهدف وضع رؤية إستراتيجية شاملة لمعالجة إشكالية واقع ومستقبل القيم الإنسانية، بما يعبر عن مقاصد القرآن الكريم في هذا النوع من المعالجات

ويتوافق كذلك مع السياسات الحكومية وأنظمة وقوانين الهيئات الدولية، بهدف تحقيق ما يصدر عن هذه الدراسات من خطط ومشاريع تفصيلية.

الهوامش

(١) ينظر خليفة، د.عبد اللطيف محمد، ارتقاء القيم- دراسة نفسية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٦٠ أبريل ١٩٩٢م، ص١٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦١.

(٣) الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: على عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ٨/ ٧٣.

(٤) ابو عبيدة هو: معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، النحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة، ولد في البصرة سنة ١١٠هـ (وقيل: ١١١، وقيل: ١١٤، وقيل: ١٠٨، وقيل: ١٠٩)، وتوفي بالبصرة سنة ٢٠٩هـ، (وقيل: ٢١١، وقيل: ٢١٠، وقيل:٢١٣، وقيل: ٢٠٨، ٢٠٨هـ)، له حوالي مئتي مؤلف منها مجاز القرآن، أيام العرب، معاني القرآن، نقائض جرير والفرزدق، وغيرها. ينظر: الاعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط٦، نوفمبر، تشرين الثاني، ١٩٨٤م، ٧/ ٢٧٢. ومعجم المؤلفين- تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كمال، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٢/ ٢٠٩.

(٥) ابن منظور، العلاّمة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ١٢/ ٥٠٠.

(٦) سورة فصلت: الآية ٦.

(٧) سورة البينة: الآية ٥.

[٨] سورة الفرقان: الآية ٦٧.

[٩] سورة النساء: الآية ٥.

[١٠] الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ)، مُختار الصحاح، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ١/ ٢٣٢.

[١١] ينظر: ارتقاء القيم، ص١٤-١٥.

[١٢] سورة الحجر: الآية ٩١.

[١٣] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (ت٧٧٤هـ)، مكتبة زهران، مصر، ط١، د.ت، ٢/ ٥٥٩

[١٤] سبع، توفيق محمد، قيم حضارية في القرآن الكريم، عالم صنعهُ القرآن، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، د.ت، ٢/ ١٥١.

[١٥] صوفي: الدكتور عبد القادر بن محمد عطا، المفيد في مهمات التوحيد، دار الاعلام، ط١، ١٤٢٢هـ/ ١٤٢٣هـ، ١٣/١.

[١٦] شنطاوي، فيصل، حقوق الانسان والقانون الدولي الانساني، دار مكتبة الحامد، عمان، ط٢، ٢٠٠١م، ص٦٣.

[١٧] سبع، توفيق محمد، قيم حضارية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ٢/ ١٥١.

[١٨] سورة الحشر: الآية ٢٣.

[١٩] سورة آل عمران: الآية ٨٥.

[٢٠] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط٣، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ٣١/١٤.

[٢١] الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين (ت٧٥٦هـ)، كتاب المواقف، دار الجيل، لبنان- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، تحقيق:عبد الرحمن عميرة، ٥٩/١، الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، حققه واعتنى به فؤاد أحمد زملي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ١/ ١٤.

(٢٢) قيم حضارية، ٢/ ١٦٥.

(٢٣) البوطي، د.محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، سورية، ط١، ١٩٩٨م، الإعادة السابعة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٠.

(٢٤) نبي، مالك بن، شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق- سورية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٤٠. وينظر: مشكلات الحضارة- تأملات، ص١٩٩.

(٢٥) ارتقاء القيم، ص٥٥.

(٢٦) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٢٧) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٥٥.

(٢٨) السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت- لبنان، د.ت، ٢/ ١٦٧.

(٢٩) سورة الأعراف: الآية ٣٢.

(٣٠) روح المعاني، ٨/ ١٣٠.

(٣١) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٣٢) تفسير القرطبي، ١٢/ ١٠٠.

(٣٣) قيم حضارية، ٢/ ١٧٩.

(٣٤) الغزالي، محمد، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام دحض شبهات ورد مفتريات، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٠٩.

(٣٥) الغزالي، محمد، كفاح دين، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٤٠.

(٣٦) سورة الأنفال: الآية ٦١.

(٣٧) تفسير ابن كثير، ٢/ ٣٢٣.

(٣٨) ينظر: المطعني، د.عبد العظيم إبراهيم محمد، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهجاً وسيرة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٦٨.

(٣٩) أبو زهرة محمد، العلاقات الدولية في الإسلام، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٢٨.

(٤٠) ارتقاء القيم، ص١٧.

(٤١) سورة البقرة: الآية ٧٥.

(٤٢) سورة النساء: الآية ٤٦.

(٤٣) سورة المائدة: الآية ٤١.

(٤٤) القرضاوي، د.يوسف، الإسلام حضارة الغد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٥٥.

(٤٥) مبيض، يُسر محمد سعيد، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، نشر مكتبة الغزالي، إدلب، ملتزم الطبع والنشر والتوزيع دار الثقافة الدوحة، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٦٣.

(٤٦) ينظر: حسين، د.ممدوح، ود.شاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص١٠٥-٤٤٩.

(٤٧) ترونجيا، تشوجيام، الحكمة المجنونة، دراسة في الفلسفة البوذية في الصين، تعريب د.فورزي درويش، مكتبة مدبولي القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص١٤.

(٤٨) سورة يوسف: الآية ٣٩.

(٤٩) تفسير القرطبي، ٩/ ١٩٢.

(٥٠) المودودي، أبو الأعلى، الحضارة الإسلامية أُسسها ومبادئها، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، شارع سورية بناء صمدي وصالحة، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص٩٣.

(٥١) البوذية: ديانة اسسها بوذا: «وهو: من حكماء الهند ومؤسس الديانة البوذية، ولقب ببوذا أي النور» وهي اقرب الى فلسفة في الحياة منها الى الدين اذ لا تؤمن بالله. ركنها التجرد والزهد تخلصا من الشهوات والالم وطريقا الى الفناء التام (نيرفانا). واتباعها منتسرون في النيبال والصين والهند الصينية وكوريا والتبت واليابان. ينظر: المنجد في اللغة والاعلام، دار المشرق، بيروت، ط٢٧، ١٩٨٤م، ١٤٨/٢.

(٥٢) المصدر السابق، ص٣٨.

(٥٣) ينظر: المصدر السابق، ص٤٠.

(٥٤) ينظر: الأعظمي، د.محمد ضياء الرحمن، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشيد ناشرون، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٥٨٨.

(٥٥) الحكمة المجنونة، دراسة في الفلسفة البوذية في الصين، ص٥٧.

(٥٦) قيم حضارية في القرآن الكريم، ١/ ٩٠.

(٥٧) فرويد، سيغموند، قلق في الحضارة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩٦م، ص٧. في: قلق في الحضارة، يتابع فرويد المشروع الذي كان قد بدأه في (مستقبل وهم) فينتقل من نقد الدين إلى نقد الحضارة تحت شعار (لا يجوز لسلطة أن تعلو فوق سلطة العقل) وجميع مثقفي العالم يعلمون ماذا يشكل فرويد هذا بالنسبة إلى الحضارة الأوربية المعاصرة.

(٥٨) قلقٌ في الحضارة، ص٢١- ٢٢.

(٥٩) سورة الجاثية: الآية ٣٢.

(٦٠) تفسير القرطبي، ١٦/ ١٧٧.

(٦١) الريسوني، د.أحمد، الأُسس الدينية لتحالف الحضارات، جزء من العرض الذي ألقاه في الملتقى الدولي الأول للتربية والثقافة، ندوة الإسلام والغرب وتحالف الحضارات، بمدينة شفشاون المغربية أيام ١٨-١٩- ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٥م، ص١.

(٦٢) هنتنغتون، صموئيل، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط١، ١٤٢٩هـ/ ١٩٩٩م.

(٦٣) قيم حضارية، ١/ ٩٠.

(٦٤) سورة الأنبياء: الآية ١٨.

(٦٥) ينظر: البوطي، د.محمد سعيد رمضان، حوار حول مشكلات حضارية، الدار المتحدة للطباعة والنشر، دمشق- سورية، ط٣، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٥- ٢٩.

(٦٦) حسين طـــه، مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، د.ت، ص٣٩.

(٦٧) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٦٨) ينظر: السامرائي، د.نعمان عبد الرزاق، في الحضارة وأمراضها والتقدم والتخلـــف، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٨هـــ/ ١٩٨٨م.

(٦٩) استهلال كتاب هنتنغتون، صموئيل، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العـــالمي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الجماهيرية العربية الليبيـــة الشـــعبية الاشـــتراكية العظمى، ط١، ١٤٢٩هـــ/ ١٩٩٩م، ص٣٨-٣٩.

(٧٠) صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ص٣٨.

(٧١) سورة النساء: الآية ٢٧.

(٧٢) تفسير أبي السعود، ٢/ ١٦٩.

(٧٣) سورة النساء: الآية ٧٦.

(٧٤) تفسير القرطبي، ٥/ ٢٨٠.

(٧٥) تفسير ابن كثير، ١/ ٥٢.

(٧٦) ينظر الإسلام حضارة الغد، ص٢١٥-٢١٦.

(٧٧) الإسلام حضارة الغد، ص١٩٧٠.

(٧٨) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٧٩) تفسير القرطبي، ٩/ ٢٧.

(٨٠) البياتي، منير حميد النظم الإسلامية، دار وائل للنشر ط١، ٢٠٠٦م، ص١١.

(٨١) ينظر: على سبيل المثال لا الحصر المقال المنشور في موقع صيد الفوائـــد والـــذي يتحدث عن إحصائيات وتداعيات انتشار الإسلام خلال السنوات القليلـــة الماضـــية. http://www.saaid.net/mohamed/211.htm

(٨٢) http://10895163q.blogspot.com

قائمة المصادر والمراجع

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ت٧٧٤هـ، مكتبة زهران، مصر، ط١، د.ت.
- ابن منظور، العلاّمة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
- أبو زهرة، محمد، العلاقات الدولية في الإسلام، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- الأعظمي، د.محمد ضياء الرحمن، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشيد ناشرون، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: على عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- البوطي، د.محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، سورية، ط١، ١٩٩٨م، الإعادة السابعة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- البوطي، د.محمد سعيد رمضان، حوار حول مشكلات حضارية، الدار المتحدة للطباعة والنشر، دمشق- سورية، ط٣، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- البياتي، منير حميد النظم الإسلامية، دار وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٦م.
- ترونجيا، تشوجيام، الحكمة المجنونة، دراسة في الفلسفة البوذية في الصين، تعريب د.فورزي درويش، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
- حسين، د. ممدوح، و د.شاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- حسين، طه، مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، د.ت.

- خليفة، د.عبد اللطيف محمد، ارتقاء القيم، دراسة نفسية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٦٠، أبريل ١٩٩٢م.
- الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ)، مُختار الصحاح، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- الريسوني، د.أحمد، الأُسس الدينية لتحالف الحضارات، جزء من العرض الذي ألقاه في الملتقى الدولي الأول للتربية والثقافة، ندوة الإسلام والغرب وتحالف الحضارات، بمدينة شفشاون المغربية، أيام ١٨- ١٩- ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٥م.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، حققه واعتنى به فؤاد أحمد زملي، درا الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- السامرائي، د.نعمان عبد الرزاق، في الحضارة وأمراضها والتقدم والتخلف، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت- لبنان، د.ت.
- الغزالي، محمد، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام دحض شبهات ورد مفتريات، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الغزالي، محمد، كفاح دين، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- فرويد، سيغموند، قلق في الحضارة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩٦م.
- القرضاوي، د.يوسف، الإسلام حضارة الغد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط٣، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- مبيض، يُسر محمد سعيد، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، نشر مكتبة الغزالي، إدلب، ملتزم الطبع والنشر والتوزيع دار الثقافة الدوحة، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- المطعني، د.عبد العظيم إبراهيم محمد، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهجاً وسيرة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- نبي، مالك بن، شروط النهضة، ترجمة، عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق- سورية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- هنتنغتون، صموئيل، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط١، ١٤٢٩هـ/ ١٩٩٩م.